

جهود الشيخ مصطفى الغلاييني في تيسير المصطلح النحوي

د. سيدتي محمد طرشني، جامعة تلمسان، الجزائر.

ملخص

يعد علم النحو بأكورة اللغة وأساس علومها، ولا يخفى على أحد أن الغاية الرئيسة لهذا العلم هي صون اللسان العربي من الخطأ في النطق، وهذا بعد أن أخذ اللحن يشيع في اللسان العربي، ومن هذا المنطلق، أنبرى بعض علماء العربية إلى وضع ضوابط الكلام لصيانة اللغة العربية من التصحيف واللحن، فألفوا مختصرات علمية وكتباً مدرسية استلهمت أفكارها من الخبرات الطويلة والملاحظات الميدانية، ويسعى هذا البحث لمقاربة الشيخ الغلاييني لبعض المسائل النحوية بهدف تيسيرها للدارسين والقراء.

الكلمات المفتاحية: الغلاييني، الجهود اللغوية، المصطلح النحوي، تيسير، لغة، العصر، المختصرات العلمية، جامع الدروس النحوية

Abstract

It's clear that «the grammatical collector lesson» is a tutorial book his writer compiles it in order to facilitate grammar for the learners, and for this aim, it was necessary to take into account a range of considerations and scientific characteristics which «Ghalayini» acquired through his experience as a teacher for a long time, for this reason, he used an easy language, suitable to the spirit of the age and he stayed away from dry phrases.

key words: Ghalayini-grammatical efforts-easy language-facilitate-spirit of the age.

مقدمة:

لا يخفى على أحد أن جامع الدروس النحوية هو كتاب تعليمي، وضعه صاحبه بغية تيسير النحو على الدارسين، وفي سبيل هذه الغاية كان لابد من مراعاة مجموعة من الاعتبارات والخصائص العلمية في تأليفه التي اكتسبها الغلاييني وخبرها من خلال عمله معلما لمدة طويلة فثمة حرص على استخدام لغة سهلة غير متكلفة تلائم روح العصر، وتبتعد عن العبارات الجافة في أغلب الأحيان ورغبة في تجنب التفصيلات والتعقيدات والتزام بالتمثيل بالشواهد واتساقها مع القواعد وتدعيمها بأمثلة أخرى واقعية تلائم روح العصر وتوجيه بعض التنبيهات للمعلم والطالب، والتنبيه إلى بعض الفوائد المتصلة ببعض المباحث والتحليل الدقيق للقضية النحوية، وعرض الخلافات النحوية ذات الصلة بإيجاز غير مخل، لكن هذه الخصائص وأبرزها تتمثل في المفاهيم والمصطلحات.

إذا كان الغلاييني لم يشر إلى بعض المصطلحات المتعلقة بالعلل تيسيرا على الناشئة، فإنه قد أكثر من ذكر المصطلحات المتعددة للمفهوم الواحد، حيث شغلت هذه المصطلحات حيزا كبيرا من كتابه، ولعل إتباعه الطريقة القياسية في عرض موضوعات الكتاب قد ألزمه الوقوف على مختلف المفاهيم والمصطلحات وتعريفها قبل البدء بتناول الأحكام والقواعد المتصلة بها، قد تنوعت أساليب الغلاييني في عرض المفاهيم والمصطلحات على الوجوه الآتية:

الشرح التفصيلي للمصطلح ومناقشته:

إن الصورة الذهنية للمصطلح أو المفهوم لا تكتمل في ذهن القارئ إلا بعد شرحه وتوظيفه للوقوف على سماته المختلفة، وقيوده المتعددة، وقد اعتمد الغلاييني في تناوله لكثير من المصطلحات على الشرح والمناقشة وكانت هذه من السمات البارزة في عرضه للمصطلح ومن أمثلة ذلك: يقول في شرح مفهوم العلم: «اسم يدل على معين، بحسب وضعه بلا قرينة. كخالد وفاطمة ودمشق والنيل، ومنه أسماء البلاد والأشخاص والدول والقبائل والأنهار والبحار والجبال (وإنما قلنا بحسب وضعه) لأن الاشتراك بحسب الاتفاق لا يضر، كخليل المسمى به أشخاص كثيرون، فاشتراكهم في التسمية إنما كان بحسب الاتفاق والتصادف لا بحسب الوضع، لأن كل واحد من الواضعين إنما وضع هذا الاسم لواحد بعينه. أما النكرة كرجل فليس لها اختصاص بحسب الوضع بذات واحدة، فالواضع قد وضعها شائعة بين كل فرد من أفراد جنسها. وكذا المعرفة من أسماء الأجناس: كالضمائر وأسماء الإشارة. والعلم يعلم مسماه بلا قرينة: أما بقية المعارف، فالضمير يعين مسماه بقرينة التكلم أو الخطاب أو الغيبة.

واسم الإشارة يعينه بواسطة إشارة حسية أو معنوية. واسم الموصول يعينه بواسطة الجملة التي تذكر بعده. والمعرف بأل يعرفه بواسطتها. والنكرة المقصودة بالنداء تعينه بواسطة قصدها به. والنكرة المضافة إلى معرفة تعينه بواسطة إضافتها إليها.⁽¹⁾

يقول في المصدر الصناعي: «اسم تلحقه ياء النسبة مردفة بالتاء للدلالة على صفة فيه، ويكون في الأسماء الجامدة كالحجرية، والإنسانية، والحيوانية، والكمية، والكيفية، ونحوها، وفي الأسماء المشتقة: كالعالمية، والفاعلية، والمحمودية، والأرجحية، والأسبقية، والمصدرية، والحرية، وغيرها.»⁽²⁾ والمصدر الصناعي من المصطلحات التي لم يذكرها القديم بهذا الاسم «فهو تسمية حديثة قياساً على المصدر القياسي والسماعي والميمي، فهو مصدر مصنوع من اسم وقعت في آخره إضافتان، فأعطي هذا المفهوم الجديد للفظ.»⁽³⁾

ولعل الغلاييني، كان أول المحدثين الذين تنبهوا إلى الفرق بين المصدر الصناعي والاسم المنسوب بقوله: «وليس كل ما لحقته ياء النسبة مردفة بالتاء مصدراً صناعياً، بل ما كان منه غير مراد به الوصف: كتتمسك بعريبتك، أي (بخصلتك المنسوبة إلى العرب). فإن أريد به الوصف كان اسماً منسوباً لا مصدراً، سواء أذكر الموصوف لفظاً: كتعلم اللغة العربية أم كان منوناً ومقدراً.»⁽⁴⁾ كما ذكر الغلاييني أن المولدين أثروا من استخدام المصدر الصناعي في اصطلاحات العلوم وغيرها، بعد ترجمة العلوم إلى العربية⁽⁵⁾ وقد أخذ مجمع اللغة العربية قراراً هذا نصه «إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزداد عليها ياء النسب والتاء.»⁽⁶⁾

وهكذا، نلاحظ أن الغلاييني يعرض للمصطلح، ويمثل له، ثم يتناول أهم السمات البارزة فيه ويحرص على شرحها وتوضيحها من خلال تبیان وجوه الاختلاف بينه وبين غيره من المصطلحات الأخرى ذات الصلة، لكي تتضح الصورة في ذهن الدارس.

الربط بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية:

تتردد كثير من المصطلحات والمفاهيم النحوية في بعض مصنفيات النحو دون الإشارة إلى دلالتها اللغوية، الأمر الذي يثير في ذهن القارئ تساؤلات عدة عن سبب هذه التسمية، ولعل الربط بين الداليتين اللغوية والاصطلاحية ييسر على الدارسين استيعاب تلك المفاهيم في كثير من الأحيان. وثمة اهتمام لدى الغلاييني بربط المصطلح بدلالته اللغوية، غير أن ذلك لم يكن سمة بارزة في كل المفاهيم والمصطلحات الواردة في كتابه، ومن المفاهيم التي شرح معناها اللغوي قبل المصطلحي، مفهوم العمدة⁽⁷⁾ والفضلة⁽⁸⁾ وضمير الفصل⁽⁹⁾ والظرف⁽¹⁰⁾ والاستثناء.⁽¹¹⁾

ذكر أكثر من تسمية للمصطلح الواحد:

لم يكتف الغلاييني بذكر اسم واحد للمصطلح النحوي، وإنما كان في كثير من الأحيان يذكر التسميات الأخرى للمصطلح مع بيان سبب التسمية أحيانا، وفي مواضع أخرى كان يذكر التسميات الأخرى دون تعليلها.

ومن المصطلحات التي ذكر تسمياتها مع تعليل سبب التسمية:

1 - الفعل المتعدي: ويسمى (الفعل الواقع) لوقوعه على المفعول به. و(الفعل المجاوز) لمجاوزه الفاعل إلى المفعول به.⁽¹²⁾

2 - الفعل اللازم: ويسمى (الفعل القاصر)، لقصوره على (المفعول به) لقصوره على المفعول به. واقتصراره على الفاعل و(الفعل غير الواقع) لأنه لا يقع على المفعول به. و(الفعل غير المجاوز) لأنه لا يجاوز فاعله.⁽¹³⁾

ومصطلح الفعل الواقع للدلالة على الفعل المتعدي، والفعل غير الواقع للدلالة على الفعل اللازم مصطلحان كوفيان.⁽¹⁴⁾

وورد الفعل المجاوز وغير المجاوز للدلالة على المتعدي واللازم عند الأشموني.⁽¹⁵⁾

ضمير الفصل: ومن العلماء من يسميه (عمادا) لاعتماد المتكلم أو السامع عليه في التفريق بين الخبر والنعت.⁽¹⁶⁾

وتسمية ضمير الفصل بالعماد، تسمية كوفية، وبعضهم يسميه دعامة، وبعضهم يسميه دعامة، لأنه يدعم به الكلام، أي يقوى به ويؤكد، والتأكيد من فوائد مجيئه.⁽¹⁷⁾

الأسماء المشبهة بالأفعال: وتسمى (الأسماء المتصلة بالأفعال) لأنه تشبه الأفعال في الدلالة على الحدث.⁽¹⁸⁾

لام الجحود: وسماها بعضهم لام النفي، وتسميتها بلام الجحود من تسمية العام بالخاص، لأن الجحود إنما هو إنكار ما تعرفه، لا مطلق الإنكار، والنحويون أرادوا هنا النفي مطلقا، لا نفي ما تعرفه فقط ولذا صوب ابن النحاس تسميتها بلام النفي.⁽¹⁹⁾

لا النافية للجنس: وتسمى (لا التبرئة) لأنها تفيد تبرئة المتكلم للجنس وتنزيهه إياه عن الاتصاف بالخبر.⁽²⁰⁾

الضمير المجهول: وهو مصطلح أطلقه الكوفيون على الضمير الذي لا يعود إلى شيء

مذكور قبله.⁽²¹⁾

المفعول فيه: ويسمى ظرفا والظرف في الأصل ما كان وعاء لشيء. وتسمى الأواني ظروفًا، لأنها أوعية لما يجعل فيها، وسميت الأزمنة والأمكنة (ظروفا) لأن الأفعال تحصل فيها، فصارت كالأوعية لها.⁽²²⁾

الحال المؤسسة: وتسمى المبينة لأنها تذكر للتبيين والتوضيح، وهي التي لا يستفاد معناها بدونها نحو جاء زيد راكبا، وأكثر ما تأتي الحال من هذا النوع ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾.⁽²³⁾

حروف الجر: وسميت بذلك، لأنها تجر معنى الفعل قبلها إلى الاسم بعدها، أو لأنها تجر ما بعدها من الأسماء أي تخفضه. وتسمى (حروف الخفض) أيضا، لذلك وتسمى أيضا حروف الإضافة، لأنها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها «والجر من عبارات البصريين والخفض من عبارات الكوفيين».⁽²⁴⁾ وتسميتها «بحروف الإضافة تسمية كوفية أيضا».⁽²⁵⁾

الإضافة المعنوية: وتسمى أيضا الإضافة الحقيقية، والإضافة المحضة، وسميت معنوية، لأن فائدتها راجعة إلى المعنى، من حيث إنها تفيد تعريف المضاف أو تخصيصه⁽²⁶⁾ «وسميت حقيقية، لأن الغرض منها نسبة المضاف إلى المضاف إليه، وهذا هو الغرض الحقيقي من الإضافة، وسميت محضة لأنها خالصة من تقدير انفصال نسبة المضاف من المضاف إليه».⁽²⁷⁾

الإضافة اللفظية: وتسمى أيضا الإضافة المجازية غير المحضة، أما تسميتها باللفظية، فلأن فائدتها راجعة إلى اللفظ فقط، وهو التخفيف اللفظي، بحذف التنوين ونوني التثنية والجمع، وأما تسميتها بالمجازية فلأنها لغير الغرض الأصلي من الإضافة، بل هي على تقدير الانفصال، ألا ترى أنك تقول «هذا الرجل طالب علما، رأيت رجلا نصارا للمظلوم، أنصر رجلا مهضوما حقه، عاشر رجلا حسنا خلقه».⁽²⁸⁾

الأحرف المصدرية: وتسمى (الموصلات الحرفية) أيضا، «ويسمى الحرف المصدرى موصولا حرفيا، لأنه يوصل بما بعده فيجعله في تأويل المصدر».⁽²⁹⁾

وثمة مصطلحات عدة ذكر لها تسميات أخرى، دون أن يعلل سبب التسمية، ومن هذه المصطلحات: مصدر المرة؛ ويسمى مصدر العدد⁽³⁰⁾، ومصدر النوع؛ ويسمى مصدر الهيئة⁽³¹⁾، ولام كي؛ وتسمى (لام التعليل)⁽³²⁾، ولام العاقبة؛ وتسمى (لام الصيرورة)، ولام المأل (لام النتيجة)⁽³³⁾، وأحرف ليس؛ وتسمى (الأحرف المشبهة بليس في العمل)⁽³⁴⁾، والمفعول له؛ ويسمى (المفعول لأجله، والمفعول من أجله)⁽³⁵⁾، والتمييز:

ويسمى (التفسير والتبيين)⁽³⁶⁾، ولام الاختصاص؛ وتسمى (لام الاستحقاق)⁽³⁷⁾، ولام شبه الملك، وتسمى لام النسبة⁽³⁸⁾ ولام التبيين، وتسمى اللام الميينة⁽³⁹⁾، «ولام الوقت؛ وتسمى (لام التاريخ)⁽⁴⁰⁾، والنعت؛ ويسمى (الصفة)⁽⁴¹⁾، والتوكيد ويسمى (التأكيد)⁽⁴²⁾، والعطف ويسمى (عطف النسق)⁽⁴³⁾، والحرف العاطل ويسمى الحرف غير العامل.⁽⁴⁴⁾

وكما نلح فإن بعض هذه المصطلحات من استخدامات الكوفيين مثل: مصطلح التفسير للدلالة على التمييز وهو من استخدامات الفراء⁽⁴⁵⁾ ومصطلح النعت للدلالة على الصفة⁽⁴⁶⁾ ومصطلح النسق للدلالة على العطف.⁽⁴⁷⁾

مصطلحات أخرى:

وبالإضافة إلى المصطلحات السابقة، فقد وردت عند الغلاييني مصطلحات جديدة، غير موجودة في المصنفات النحوية، مثل:

1 - اللام التشبيهية: وهي نوع من أنواع الإضافة، ذكره الغلاييني، علاوة على الأنواع الثلاثة المعروفة (اللامية والبيانبة والظرفية) ويقصد بالإضافة التشبيهية؛ ما كانت على تقدير كاف التشبيه، وضابطها أن يضاف المشبه به إلى المشبه، نحو (انتثر لؤلؤ الدمع على ورد الخدود) ومنه قول الشاعر ابن خفاجة:

والريح تعبت بالغصون وقد جرى ❖ ذهب الأصيل على لجين الماء⁽⁴⁸⁾

ويرى الغلاييني أن هذا النوع من الإضافة اللامية لم يتعرض له النحاة غير أن جعله قسماً برأسه أولى وأوضح، وهذا النوع يمكن أن يدخل ضمن الإضافة البيانبة على سبيل المجاز بتقدير حرف الجر (من) فنقول في: انتثر لؤلؤ الدمع على ورد الخدود؛ (انتثر لؤلؤ من الدمع على ورد الخدود)، فلاداعي إذا لمزيد من التفريعات والتقسيمات. المؤثر والمتأثر: ويقصد بالمؤثر: العامل، والمتأثر: المعمول، ويبرز الغلاييني استعمال هذين المصطلحين للحاجة إليهما، ولأن قياس اللغة لا يأباهما.⁽⁴⁹⁾

ولأبأس من استخدام مصطلحي المؤثر والمتأثر للدلالة على العامل والمعمول، فتعريف الإعراب كما ورد عن النحاة هو «أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكن والفعل المضارع»⁽⁵⁰⁾.

خاتمة:

وهكذا، ومن خلال تعدد المصطلحات في كتابه بوجه عام، تتجلى لنا ثقافة الغلاييني الواسعة وإطلاعه على مصطلحات البصريين والكوفيين وغيرهم من النحاة، غير أنه التزم بالمصطلحات النحوية الدارجة كما وردت عند البصريين، وكان يذكر

المصطلحات الكوفية وغيرها تالية لها، وربما كان يهدف من خلال ذكر التسميات الأخرى لبعض المصطلحات إلى تعزيز فهم الدارس لها من خلال التفكير في علاقة بين المعنى الاصطلاحي للمفهوم، بالإضافة إلى وضع الدارس في صورة المصطلحات وتعريفه بتسمياتها المتعددة.

- (1) جامع الدروس النحوية ص: 88.
(2) السابق _____، ق، 141.
(3) ينظر مجلة اللغة العربية: 1/ 215 ، وينظر: المستقــــــــــــى صى في علم التصريف، ص: 428.
(4) جامع الدروس النحوية، ص: 141.
(5) السابق، الصفحة نفســــــــــــا.
(6) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما، مجموعة القرارات العلمية، 3/ 21.
(7) سميت عمدة لأنها ركن الكلام، فلا يستغنى عنها بحال ن الأحوال، ولا تتم الجملة بدونها، جامع الدروس النحوية، ص: 23.
(8) سميت فضلة لأنها زائدة عن المسند والمسند إليه، ينظر: السابق، ص: 24.
(9) سمي ضميرا لمشابهته الضمير في صورته، وسمي ضمير الفصل لأنه يؤتى به للفصل بين ما هو خبر أو نعت، السابق، ص: 101.
(10) الظرف في الأصل ما كان وعاء لشيء، وتسمى الأواني ظروفًا، لأنها أوعية لما يجعل فيها، وسميت الأزمنة والأمكنة ظروفًا لأن الأفعال تحصل فيها فصارت كالأوعية لها، السابق، ص: 465.
(11) من ثناه عن المر يثنيه، إذا صرفه عنه ولواه، فالاستثناء صرف لفظ المستثنى منه من عمومه بإخراج المستثنى من أن يتناول ما حكم به على على المستثنى منه، السابق: 523.
(12) ينظر: جامع الدروس النحوية، ص: 28.
(13) ينظر: السابق _____، ق، ص: 38.
(14) ينظر معاني القرآن للفراء، 1/ 16، حيث جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ فنصبه على جهتين: إن شئت على معنى (تركهم صما بكما عميا)، وإن شئت اكتفيت بأن توقع الترك عليهم في الظلمات، ثم تستأنف صما بالذم لهم، وانظر: السابق، 2/ 105-1/ 17-21-40-46-59.
(15) ينظر: حاشية الصبان على الأثموني، 2/ 122.
(16) جامع الدروس النحويــــــــــــة، ص: 101.
(17) ينظر: همع الهوامع، 1/ 236، وينظر: معاني القرآن للفراء، 1/ 52، كما ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، 2/ 227 ، المسألة 100، حيث دار خلاف بين البصريين والكوفيين حول تسمية هذا النوع من الضمير.

- (18) جامع الدروس النحوية، ص: 12.
- (19) جامع الدروس النحوية، ص: 311.
- (20) ينظر: جامع الدروس النحوية، ص: 424.
- (21) ينظر جامع الدروس العربية، ص: 571، كما ينظر: معاني القرآن للفراء، حيث أطلق مصطلح الإسم المجهول على اسم جعل (يكون) فعلا لها، اكتفى بكون بلا فعل ... ومن نصب قال: كان من عادة كان عند العرب مرفوع ومنصوب، فأضمرُوا في كان اسما مجهولا، وصبرُوا الذي بعده فعلا لذلك المجهول، معاني القرآن للفراء، 1/ 360-361.
- (22) جامع الدروس النحوية، ص: 465.
- (23) الكمــــــــف، 56، الأنعام، 48.
- (24) شرح المفصــــــــل، 2/ 123.
- (25) ينظر: همع الهوامع، 4/ 153.
- (26) وضابطها أن يكون المضاف غير وصف إلى معموله، بأن يكون غير وصف أصلا، كمفتاح الدار، أن يكون وصفا مضافا إلى غير معموله، ككاتب القاضي، ومأكل الناس، ومشرهم وملبوسهم، وتفيد تعريف المضاف إن كان المضاف إليه معرفة نحو: هذا كتاب سعيد، وتخصيصه إن كان نكرة، نحو، هذا كتاب رجل، إلا إذا كان المضاف متوغلا في الإبهام والتنكير فلا تفيده إضافته إلى المعرنة تعريفًا، وذلك مثل: غير ومثل وشبيه ونظير. نحو: جاء رجل غيرك، أو مثل سليم، أو شبه خليل، أن نظير سعيد ... وكذا المضاف إلى ضمير يعود إلى نكرة فلا يتعرف بالإضافة إليه، نحو: جاءني رجل وأخوه، رب رجل وولده، كم رجل وأولاده، ينظر: جامع الدروس النحوية، ص: 585.
- (27) السابــــــــق، ص: 586.
- (28) السابــــــــق، ص: 586.
- (29) جامع الدروس النحوية، ص: 626.
- (30) السابق، ص: 136.
- (31) السابق، ص: 137.
- (32) السابق، ص: 309.
- (33) السابق، ص: 309.
- (34) السابق، ص: 397.
- (35) السابق، ص: 461.
- (36) السابق، ص: 513.
- (37) السابق، ص: 566، ولام الاستحقاق هي اللام الداخلة بين معنى وذات. الحمد لله، والنجاح للعالمين.
- (38) وهي اللام الداخلة بين ذاتين. نحو اللجام للفرس، السابق، ص: 566.
- (39) السابق، ص: 566، وهي التي تبين أن مصحوبها، مفعول لما قبلها من فعل تعجب أو اسم

-

